



# مرايا الليل

سمير الشريف





© حقوق النشر الإلكتروني محفوظة لدار ناشري للنشر الإلكتروني.  
www.Nashiri.Net

© حقوق الملكية الفكرية محفوظة للكاتب.  
نشر إلكتروني في ربيع الثاني 1432هـ، مارس 2011 م.  
يمنع منعاً باتاً نقل أية مادة من المواد المنشورة في ناشري دون إذن كتابي من الموقع. جميع الكتابات  
المنشورة في موقع دار ناشري للنشر الإلكتروني تمثل رأي كاتبها، ولا تتحمل دار ناشري أية مسؤولية  
قانونية أو أدبية عن محتواها.

تصميم الغلاف: حياة الياقوت

---

---

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

**مرايا الليل**

=====

---

---

# مرايا الليل

قصص قصيرة

سمير أحمد الشريف



طبع بدعم من وزارة الثقافة

الطبعة الأولى  
٢٠١١ م

=====

ζ =====

---

---

المملكة الأردنية الهاشمية  
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية  
٢٠١٠/٨/٢٨٤٦

٨١٣,٩

الشريف، سمير احمد  
مرايا الليل/ سمير احمد الشريف - عمان،  
المؤلف، ٢٠١٠

( ) ص  
ر.أ: ٢٠١٠/٨/٢٨٤٦  
الواصفات: القصص العربية// العصر الحديث

\* يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه  
ولا يعتبر هذا المصنف رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة  
حكومية أخرى

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

الآراء الواردة في الكتاب لا تعبر عن رأي الجهة الداعمة

---

---

# هذه الدرب لا أهد يسلكها...

باشو

=====

Υ =====

---

---

## المحتويات

لحظات ..... ١١

محطات ..... ١٥

حالات ..... ٢١

نصوص ..... ٢٧

|    |              |
|----|--------------|
| ٢٩ | وحدة         |
| ٣٠ | عنوة         |
| ٣١ | دكتور        |
| ٣٣ | براءة        |
| ٣٥ | منهم         |
| ٣٧ | مراجعة       |
| ٣٩ | راتب         |
| ٤١ | انتظار       |
| ٤٢ | خوف          |
| ٤٣ | اكتشاف متأخر |

|    |                     |
|----|---------------------|
| ٤٤ | أمل                 |
| ٤٥ | توقعات .....        |
| ٤٩ | قصص قصيرة جدا ..... |
| ٥١ | بكاء                |
| ٥١ | مهنة                |
| ٥٢ | مناسبة              |
| ٥٢ | منصب                |
| ٥٣ | تحول                |
| ٥٣ | وفاء                |
| ٥٤ | تجربة               |
| ٥٤ | انشغال              |
| ٥٥ | تعب                 |
| ٥٥ | جوع                 |
| ٥٦ | حوار                |
| ٥٦ | سوء فهم             |
| ٥٧ | بيان                |
| ٥٧ | قدوه                |
| ٥٨ | طنين                |
| ٦٠ | اشتغال              |
| ٦٢ | نص شنب              |
| ٦٥ | الإمتحان            |

|    |                 |
|----|-----------------|
| ٦٨ | توبة            |
| ٧١ | أرزاق           |
| ٧٥ | الزيارة         |
| ٧٩ | من دفاتر الايام |
| ٨٥ | سطور            |



## لحظَات

=====

---

---

## لحظات

لحظة أن وقف أمام الكاميرا ولمع ضوءها فوق رأسه الأملس، تحدث بإسهاب عن أهمية الحفاظ على البيئة ونسي أن يبتعد قليلا ليخرج من الكادر أكوام الزباله والموقد المشتعل.

\*\*\*\*\*

لحظة أن وقف ضابط السير شارحا جهود فريقه في تنظيم المرور، نسي لفرحته بمقابلة المذيعة الشقراء، أصوات أبواق السيارات التي تعالت بسبب عطل الإشارة.  
لحظة أن جلس لمناقشة الكفاءات المهنية، وضع يده في جيبه وتذكر النقود التي دفنها بيد صبي الكراج حتى يعطي مزيد اهتمام لسيارته التي لا تفارق المرأب.

---

---

لحظة أن مد عنقه متشدقاً بنزاهة انتخابات المجلس  
القروي، مد يده ليتسلم قائمة الأصوات التي جاء  
بها أتباعه مقابل حفنة من النقود للصوت  
الواحد!!!

\*\*\*\*\*

قبل أن يتباهى بابنه ويعرض شهادته التي تزدهم  
بالدرجات العليا التي نالها في المدرسة الخاصة،  
دخلت زوجه بورقة الإملاء التي لم يتمكن ابنها فيها  
من كتابة اسمه صحيحاً.



## محطات

=====

---

---

## محطات

دوى الانفجار، غمرت الشظايا محيط الشارع  
الضيق  
همد كل شيء، استقر الغبار فوق أغصان الشجر.  
أقفرت الطرقات وخيم صمت موحش.  
لم يبق في الزقاق غير قطعة تموء، تدور حول  
رجل ينز منها الدم وفردة حذاء ملقاة خارج إطار  
المشهد.

\*\*\*\*\*

هياً روحه لاستنشاق عطر اللقاء.  
اعتصر رحيق قراءاته ليقول ما يوازي الحميمة  
التي تنتشي بها صحراء روحه.  
عندما رن الهاتف طويلاً، لم يجرؤ على رفع  
السماعة لأن لسانه جفّ وطار من فمه كل  
المفردات التي حضّرها قبل ساعة.

---

---

نقاسما طاولة أظهرت معالمها ضوء خافت،  
سافرت الآهات محلقة  
طعنا ساعتيهما بألم  
تبادلا النظرات الحيرى  
غادرا وسحابات دخان السجائر تداعبها الريح  
انتظارا لموعد قادم.

\*\*\*\*\*

في صيف ما  
دقت باب العمر الذكرى الخمسون  
في يوم ما  
هاتفها مطمئنا على صقيع وحدة تكفن لياليها.  
في لحظة ما، هاتفها عارضا صداقتها.  
ردت بحزم: أصادق كلبا ولا .....  
في لحظة ما  
أنّ جرس بابها ..  
خرجت ..  
الفت كلبا صغيرا في سلة بالباب  
وبطاقة تهنئة بأمنيات لعام جديد.

---

---

ليت المدينة أغلقت أبوابها وارتاحت العربات  
وانقطعت خطوط السير  
لأظل القى في الصباح عليك يوميا  
صباح الخير..

\_\_\_\_\_

٢. \_\_\_\_\_



# حالات

=====

==>

---

---

## حالات

فكر بئمن الإعلان، لم يجد في جيبه شيئاً.  
باع المذيع الذي يحمله لأفاق الدنيا .  
تحسس كَلْبَتِهِ بِأَلَمٍ  
داهمته موجة أسي..  
حدّق فيه صاحب المقهى متسماً قرب الهاتف ،  
ودّع ضوء النهار الدنيا وجاسم لا يزال منتظراً.

\*\*\*\*\*

باعت أثاث بيتها مجارة للزمن  
سقط وليدها صريع المرض  
لم تجد ثمن الدواء  
همست لها جارتها بالحل  
زمجرت ودفعته خارجاً  
صدّم الجيران ذات يوم  
بركام أم تحتضن وليدها بعد ما أصبها كتلة من  
عظام .

---

---

ألبسونا ثياباً جديدة..  
حملونا أعلاماً ..  
أحمرت وجوهنا تحت لهيب الحارقة..  
فقد رفيقنا وعيه..  
جفت حلوقنا عطشاً..  
أمرنا بالانتظار ..  
زعيق ، هرولة وهرارات ...  
سيارة بنوافذ سوداء مرت كالبرق وخلفتنا والهيئ...

\*\*\*\*\*

أصوات المدافع لم تتوقف  
جثث تملأ الطرقات  
جروح يأكلها العفن  
ذعر وبكاء وراية عجز.  
تناقلت الأنباء خبر جرح مراقب دولي.  
تدخلت كل الأطراف لإخلاء الجريح.

---

---

في العرس ، لعلت الزغاريد  
كثرت الذبائح وتجمع المهنتون  
مُدت المناسف واشتعلت السماء بالرصاص  
تساءل أحد الواقفين: أين كان هذا السلاح عندما.....  
وقبل أن يسمع جوابا مزقت رصاصة كاتم صوت  
شغاف قلبه وغادرت بلا استئذان.

=====

---

---

# نصوص

=====

---

---

## وحدة

تطل على فضاء الليل  
تستعرض من مرّوا على عمرها  
تتحسس تجاعيد وجهها  
ترمي رفوف الكتب بنظرة حقد  
وتطعنها بأهة ندم

---

---

## عنوة

ملّ الجيران إرسال بقايا طعامهم إليه.  
كل الشركات ترد نفس الجواب  
وضع موسى في جيبه وخرج  
اقترب من بسطة خضار  
تناول كيسا ملاء وسار مغادرا  
أعلن البائع ذهوله ونادى ...  
تحسس موساه كاتما أنينه المجروح

---

---

## دكتور

نقر ساعته بنظرة خاطفة، أدرك أن الوقت قصير  
والشهر

في نهايته، رمق هيكل الخادم المنهمك بمسح  
السيارة، تذكر حقيبته ودفتر الكشكول المهترىء.

لم ينس أن يُذكر ابنه بجمع إيجار الشقق.

وصل متأخراً، وجد طلابه خلية نحل أمام غرفة  
المحاضرات.

كوم جسده على الكرسي، صفر متحشرجا، ضغط  
بإصبعه على نظارته، جفف عرق جبهته النافرة،  
قلب أوراقه، تلاشت جلبة الطلاب، انتبه إلى  
زعيق طالب من الصف الأخير : وصلنا في  
المحاضرة السابقة عند تحليل المدرسة الاشتراكية  
في الأدب.

صهر قلب الطالب بنظرة طويلة ودقق النظر برأسه  
الذي نبتت له طلوع الشياطين.



## براعة

سألت الطفلة أمها

-: أين أبي؟



---

---

-:.....

-: لماذا لا يأتي مع الرجال الذين يزوروننا كل ليلة؟

-:.....

يعطونني.....

-:.....

-: ألم تقولي أن أبي سيعود قريباً؟

-:....

-: أمي لماذا لا تردين!!؟

-:.....

-: لا تغضبي يا أمي .... سأذهب إلى الدكان البعيد

واشتري لهم علب سجائر ....

---

---

## متهم

أنكر التهمة..  
امتلأ وجهه بالكدمات  
تشوه صدره بالحروق  
ظل على عناده  
نُقل إلى زنزانة منفردة  
انشج بين الموت والحياة  
ما الذي يستحق هذا العذاب!  
احتضن ساعديه  
حدّق في الأرض المتسخة  
تسللت إلى أنفه رائحة البول  
لاذ بصمت.

---

---

همهمات .....زبد أبيض يختلط بدم  
أطفئت أنوار منتصف الليل  
سرت في روحه قشعريرة  
صليل حديد الباب ناح إيذانا بالفرج  
حمل في بطانية كثيرة الثقوب  
أمام المدخل الفولاذي الواسع لمح الحارس ينتفض  
بذهول.

لم يستطع أن يميز الصوت الذي خرج كالأنين..  
بعد الدفن، تبادلوا الابتسامات... نفص كل منهم  
يديه من بقايا التراب.. لعنوا هذه المهنة التي لا  
يحدّها زمان..

في الصباح..نظروا إلى الصحف وهم يحتسون  
القهوة...أشاروا بأصابعهم إلى الحروف الكبيرة  
التي تذكر دفين الأمس، مطالبة الشرفاء أن يتعاونوا  
لإلقاء القبض عليه.

تبادلوا النظرات... عاد كل منهم يغرق في سحابات  
سجائره دون أن ينتبهوا لصوت رشقات القهوة الذي  
أثار انتباه الجالسين.....

---

---

## مراجعة

أمعن النظر بيد الخادم التي تمسح سيارته الجديدة..  
ابتسم.

كلّ هذه النفخة ثمنها دُونم!!

طلّتي على الشاشة تساوي كل فلوس الدنيا  
سيصبح من كانوا معي يتهافون على مكتبي  
لعرض مطالبهم، ومن كانوا ضدّي يحترقون في  
نيران غيظهم .

أي عزّ وأنت تتفتّ دخان سيجارتك في عيون  
المراجعين الذين تتعالى صيحا تهم  
"حشرات قميئة" تصرخ فيهم ليهدؤوا ويلتزموا  
الصمت...

رفع الخادم النحيل ظهره ،رمقه ببسمة رضى  
وربتَ على كتفه.

\* \* \*

العجلات تنهب الإسفلت، نظر إلى وجهه الحليق  
في المرأة.

يملؤه إحساس برضى ما لبث أن انقلب إلى غصة  
جارحة.

زوجته التي تفسد عليه لذات انتصاره..  
باستطاعته الزواج من غيرها ، الحال ميسور  
والجميلات لا يحصيهن عد،  
العقبة، غسيلك الذي سيُنشر على الملأ.

---

---

هي تعرف كل فاصلة في كتاب حياتك فماذا تفعل؟  
الصبر!!

لقاء اليوم ستناقش فيه اللجان ، حاول أن تتسلل إلى أكثر من لجنة ،ذلك يعطي مهابة ونفوذاً غير محدودين، ولعلّ زوجك تتراجع عن صلفها أمام هذه النجاحات، لكن لجنة القانون هي المغنم، إيّاك أن تضيع فهي التي ستقربك من المتنفذين، إنها المفتاح السحريّ بين يديك.

رمق عدّاد السرعة، انخلع قلبه، أحس بارتطام..  
هذا الطريق الوعر اللعين، سأفعل المستحيل لتعبيده حتى مدخل البيت.

نزل من سيارته وجد راعياً يغرق في بركة دم.  
نظر يمنة ويسرة، دار حول نفسه، جلس خلف المقود منطلقاً بسرعة  
تاركاً سحابة من غبار.

## راتب

انتظر نهاية الشهر بشوق  
للمرة الأولى يزور المدينة بجيوب مלאى

---

---

لصوت السيارات وصراخ الباعة وملاحح الناس  
طعم جديء

الراتب حصاد عمر قضاء بين الكتب  
لون الأشياء يذوب في عينيه جميلاً رائعاً  
جلء الثواني ليقف أمام المحاسب  
لم يصدق أذنيه واسمه يلعلع في صالة البنك  
العريق.

احترق جسءه بنظرات الناس يرمقون يءه المرتجفة  
تعد الراتب.

ءسّ في قبضة الرجل الذي خلخل دعاءه سكون  
المكان بعض النقوء.....

اصطءمت يءه بذراع الصببة التي اءءءت تستوقفه  
تشرح لها يئءها....

انزلقت يءه إلى جبيه أمام المءءء الذي يبيع العلكة  
والمرأة التي تنيم أطفالها بين أرجل المارة، والطفل  
الذي يحوم الذباب على وجهه والشاب الوسيم الذي  
انقطع عن ذويه والسائق الذي عقدت لسانه الدهشة

---

---

لحظة أن ادخل الموظف الجديد يده في جيبه  
فرجعت خاوية.

---

---

## انتظار

الناس يغسلها التعب  
تَرْقَبَ بحرقَة رنين هاتف المقهى  
ربّما يكون وسيلة خروجك الأخيرة من المأزق  
كذبتَ في إعلانك أن لديك ثلاث كلى  
كلمة متبرع مصيدة لإيقاع الموسرين  
يتاجرون بلقمتك .. وصل الأمر إلى روحك  
ما زلت البقرة الحلوب وثور الساقية  
هل ينقذك الهاتف وترد بعض كرامتك؟  
شرقتَ وغرّبتَ، والجواب لا يتغير.  
تبيع كليتك هنا وهناك ينتظرون الوهم  
مضت ساعات على توزيع الجريدة.  
لم يقطع اللعين حبل الصمت  
ربّما حجم الإعلان حال دون رؤيته !!  
هذا الإعلان آخر أمل.  
والأطفال...  
لسعه الرنين المفاجئ.. زغرد قلبه ابتهاجاً  
..أخيراً.....  
-: الو نعم جاسم يتكلم.... جاسم صاحب  
الإعلان.  
-: عذرا ... نريد صالة النجوم.

## خوف

---

---

فتحننا عيوننا على طوقه الجلدي الأسود  
يكشر عن أنياب طويلة بيضاء،  
عيناه الحمراءوان  
يعوي بصوت حاقد  
نعاني من خطره كلّ صباح  
ترددنا في إيصال مخاوفنا  
تهمة الجبن تنتظرنا  
نرشوه بفطائرنا كي لا ينبج  
تمادى في تحديه  
أدرك سر تنازلنا  
أصبحت فطائرنا لا تكفيه  
نعود من مدارسنا والجوع ينهشنا  
همست لوالدي... (أل...)  
نكس والدي الرأس طويلاً  
رأيت دموعاً تجول في مآقيه  
لم يجب ولم أكرر السؤال...

---

---

## اكتشاف متأخر

جلسا في الركن المعتم  
أمسكتُ خيط هروبه  
أدركتُ أنه يتخلص منها  
لا يريد الاسترسال في حديث لم يكن بدفع  
مفردات رسائله  
دارت جراحها معتذرة لتزيل آثار هزيمتها،  
هالها أن ترى في المرأة المشروخة شياطين بيض  
تتبت في ذقنها  
نسيت أن تزيلها لتلحق بالموعد.

أمل

---

---

البنّت الكبرى، ضج قلبها فرحا عندما سال غريب  
عن والدها...

البنّت الكبرى ، حزنت وتمنت موت اختها عندما  
طلب الغريب يد اختها...

البنّت الكبرى، متظاهرة بوداع اختها بكت نفسها...  
البنّت الكبرى، نظفت أطباق المطبخ ودخلت  
غرفتها لتستريح ...

البنّت الكبرى ، حدّقت في المرأة المستديرة....  
البنّت الكبرى، أمّعت النظر بشهادتها العليا قبل  
أن تهوي بقبضتها ويختلط وجهها بالدماء.



# توقيعات

=====

---

---

## توقيعات

\* كانتا تطبقان بإحكام، ترسمان بسمه، تهتفان  
للوطن قبل أن تعبرهما رصاصة، ذات جرح.  
لا أعني الشفتين.

\*\*\*\*\*

\* أينما حللت، في بعثتي على حساب السفارة، في  
منصبي بالمجلس، برئاسة للإدارة، لم يتخل عني  
في مصح الأمراض العقلية بعد أن هرب مني  
الجميع.  
لا أقصد قدرتي.

\*\*\*\*\*

\* لم تحدد اتجاهها لها بعد أن انتشرت في كل  
الجهات حزنا على أمل فات.  
لا أعني الآهة.

\*\*\*\*\*

\* لا أسلحة، لا جيوش ولا ميزانيات ضخمة،  
تتفهم، تعمل بصمت، تبني بجد وإصرار.  
لا أعني النملة.

\*\*\*\*\*

مثلك، قضى عمره بين الوعد والأمل، بنى بيته  
وتعود عليه وظللت أنت معلقا.  
لا أعني العنكبوت.

---

---

\* كان ملتقى العاشقين، يتشرب بتلذذ ما يتناجيان به  
ويبثانه من وجد، يعلن فرحته باهتزاز يشاركهما  
طقسهما.  
لا أعني الغصن.

\*\*\*\*

\* لم تخذع هيئته التي توحى بالوقار من عملوا  
معه. ظل يستغل المنصب ويزور الفواتير ويقتعد  
الصف الأول كل جمعة.  
لا أعني أحدا.

\*\*\*\*

\* بقلمه الأحمر يلغي مقالاتي الجديدة ، عندما  
راجعته معترضا، أشار بقلمه نحو الأعلى مبتسما.  
أعني رئيس التحرير.

\*\*\*\*

\* يجد سبعين مفتاحا لحل مشكلته لكنه لا يختار  
غير الفرار.  
لا أعني الجبان.

---

---

# قصص قصيرة جداً

=====

---

---

## بكاء

\*\*"حياة هو الموت...."  
أول عبارة خطها قبل أن يتوقف القلم ويجهدش  
بالنشيح .

## مهنة

\*\* قضى العمر يكتب عموده اليومي التحليلي وفي  
كل مرة يطير للصحافة المهاجرة ليطل على ما  
يجري في بلده.

## مناسبة

---

---

أمسك جهاز التحكم ... البساطير تملأ  
الساحات... غمرته قشعريرة ألم... ضغط زر  
التحويل، كان المحاضر فرحاً بإعلان القدس  
عاصمة للثقافة ، قبل أن يحول مؤشر المحطة،  
التصقت بصقة بمنتصف الشاشة تزامناً مع براعم  
الدهشة التي نمت في حدقات الجالسين.

## منصب

رئيس التحرير الذي قفز لمنصبه لضرورات لا  
علاقة لها بالقلم، ظل يشيح بعينيه بعيداً عن زميله  
البواب عندما يهدف باب الدائرة محاذراً أن تلتقي  
أعينهما.

## تحويل

الطاولة التي أسند عليها المحقق مرفقيه ،كانت  
سنديانة وارفة الظلال تلجأ لها القطعان عند القيلولة  
وتحط على أغصانها الطيور عند شقشقة الفجر...

---

---

هل أدرك الرجل الذي استمات لسحب اعترافي  
معنى تغير الفصول؟

## وفاء

\*\* انشج بعتمة الليل، تلقفته الدروب المضربة  
ببخار الشتاء، فتشوا الأماكن المتوقع وجوده فيها ،  
لم يخطر بالبال أن يلوذ في مثل هذه الساعة  
بقبرها الذي درست معالمه .

## تجربة

طيلة عمره يسمع مقولة :الأشجار المثمرة ترمى  
بالحجارة، علمته الاعتصامات الأخيرة أن الكلاب  
ترمى بالحجارة أيضا.

---

---

## انشغال

قبل حلول المناسبة ،انشغلوا بتحضير اللافتات، في  
الموعد المضروب، لم يكن غير مجموعة أطفال  
يلتغون بعبارات تضيع بين حروفها مفردة الوطن.

## تعب

عاد من عمله يتأرجح تعباً،مشط بعينه كوكبة الناس  
الذين تجمهروا،سأل بحركة من رأسه، تبرع أحد  
الذين يملأ الغضون وجوههم صارخاً.  
:- سارق النهار يوقع الحد على سارق الليل!!

## جوع

---

---

لشهر الرابع لم يتذوق أطفالي طعم اللحم، للمرة  
الرابعة أقف أمام الجزار أضم قبضتي على قروشي  
القليلة، للمرة الأخيرة أمسكت بي نظراته متلبسا  
بحيرتي قبل أن أمتطي سرج شجاعتي وأطعنه  
بسؤال:  
-: أحتاج عظمت للكلاب في بيتي.

## حوار

جادل التاجر بإلحاح لتخفيض ثمن العلم حتى يُزينَ  
شرفة بيته المستأجر.

## سوء فهم

-: ماذا قلت؟

نفث دخان سيجارته وأجاب متسائلا

---

---

- متى تُوقف الأشجار رمي أوراقها وتمتّع  
الريح عن اللعب بالأزهار؟

## بيان

بعد أن عاد من رحلة استجمام عقد مؤتمرًا صحفيًا  
عدّد فيه إجابيات السياحة الداخلية.

## قدوة

أغرم بأفكار منظر الحزب الذي أصبح نائبًا له ولم  
يقرأ من كتاباته غير رسائله لعشيقاته.

---

---

## طنين

شمس أب تصفع الوجه، عاند نفسه بالسير توفيراً  
لنصف دينار ثمن ربطة خبز، محاجر العينين  
يغرقهما العرق، تتناوب على ظهره موجات برد  
لاسع وجمر ملتهب، يحبل الشارع بسيارات لا  
عداد لها، المدينة دوامة كبيرة، باعة، أجراس،  
نداءات، صافرة شرطي، لوحات تأخذ الأبصار.  
المحطة بعيدة، راتب الشهر بلفظ أنفاسه على أسوار  
اليوم العاشر، قائمة المطلوبات لا تنتهي.....  
لماذا لا تنبت الرحمة في قلب أحدهم ويسألني عن  
وجهتي؟

العرق ضباب الرؤية، تختلط الأصوات في الأذنين،  
مزيج صراخ وعتاب، شاشات باتساع الحلم تنزرع

---

---

في الساحات، أخبار، مسلسلات وفوازير...  
المدىونية تجاوزت أل..... شهداء جدد تقصفهم  
الطائرات... حملة على حملة الشهادات العلمية  
المزورة..... العنف وصل مرحلة اللارجوع.....  
ساعة الساحة تغمز الثالثة، متى ينتهي العذاب؟  
أصحاب هذه السيارات هل يتقاضون راتباً مثلك؟  
لسعة كهرباء تضرب الرأس، شوك ينبت في الحلق،  
إبر حادة تنغرز في الكتف اليسرى، دوار يلف  
البدن، دولا ب يجتاح الأشياء في ناظريك، تصفرّ  
الأشياء، تتلاشى الرؤية، طنين يستعمر الأذنين،  
أقدام تتسارع، أصوات تعزف الحوقة ورأس ملطخ  
بخيوط دماء.

يهبط صمت ثقيل قاتل، يسهل زامور الإسعاف،  
طوفان مشاعر ينبت في الأعماق، صرخة دامية  
حطمت السكون، في سماء المكان سؤال ظل  
يتأرجح بلا جواب.

---

---

## اشتعال

هلّ الباص أخيراً...  
فرحة الخلاص من الوقوف الإجباري أنسته سياط  
الشمس.  
وجد نفسه مقذوفا داخل الحافلة.  
تهالك على المقعد، استقبلته الرائحة، تطاول  
مقتربا.  
كيف يجتاز هذه الأشبار..  
سرت ارتعاشات في روحه... يده تنقر  
النافذة..تتهتئ... حاولت أن تستدير... اصطدم  
بنظارتها السوداء..اكتشف وجهها المشرب  
بحمرة..  
أصابعها تتحرك.....  
سقط قلبه ببئر من فرح..نمنمات خدر اجتاحت  
كيانه..وصلتها رسالته...ها هي تستجيب....  
ماذا تعني بتحريك أصابعها ؟  
الثالثة تكون في المحاضرة!!..إلى الجحيم كل  
الدراسة، أفضل المحاضرات تجربة يخوضها  
قلبان.  
لماذا لا أبدأ رحلة وداع العذاب، لماذا لا أكتب  
سطرا في حياة مختلفة؟  
يا لهذه الاستجابة!! من يدريك أن دفترها غير  
مليء بمثل هذه الاستجابات!!

---

---

مالك والظنون؟؟ أنت في حالة ضن الزمان  
بمثلها... ليت من حولك يتذوقون الرحيق الذي  
يذوب بين جوانحك.... أرح رأسك على نهاية  
المقعد الذي يفصلكما... مد يدك وتلمس حريرها  
المنسدل...

تأكد من صدق مشاعرك !!....!!  
يتجمع الإحساس في أطراف أصابعك... تسرح  
متلذذا بها النصر....  
تضغط رأسها للوراء...  
جسدك ريشة محلقة.....  
جرس التنبيه يشعل الصمت....  
تلمم أشياءها... تدس في يدك قصاصة....  
تخلق مذهولا.... تقرأ...  
معذرة...  
وجدت فيك كثيرا من أخي الذي يضيء عمتنا...

## نُص شنب

وقف أمام المرأة يتعمق تفاصيل وجهه الذي حرثته  
الأيام.. لم يستوقفه مظهره و ذبول وجهه و

---

---

تسريحة شعره التي زحف عليها الصلع، لم يعد يلقي بالا لمثل هذه الترهات..

تركز اهتمامه على شاربته المتهدل كغصن دالية الحوش التي لم يطلها التقليم ، والمتمدد بشموخ فوق شفتين متغضنتين تميلان للزرقة ووجه يضج أسى على ماضٍ لن يعود.

أمسك نهاية شاربة بأطراف أصابعه ، راهن على جزئه الثاني، كم كان واثقا من نفسه وهو يستمع بامتلاء لنشرة الأخبار التي تتوعد الغزاة، وكم ملأته الفرحة وهو يمعن في الأرتال التي ستدك أوكارهم ،وتجعل العودة لمربع الطفولة قاب قوسين.

تذكر بغصة آخر مرة مسد فيها شاربته قبل أن يخسر الرهان أمام رفاق المقهى ،الذين هزئوا بتحليلاته أن العدوان لن يتم، والحشود مجرد تكتيكات متفق عليها.

كم كان ساذجا عندما أمسك شاربته معلنا انه لن يتوانى عن قص نصفه ورميه في حاوية القمامة إذا ما حدثت معركة.

هل يعيدها اليوم ويراهن على نصف شاربته الآخر ؟ هل يصدق مذياعي الأخبار الذين تشترك حكوماتهم بالحرب في الإعلام، وهم يتفرجون على الدماء والأشلاء والهدم ؟

يركب رأسه معاندا من يقول أن من يراهن عليهم لن يحركوا ساكنا، وأن جبهتهم ستظل آمنة والعدو

---

---

على طرفها نائم، خدعه الإعلام كالعادة، فهل هو  
غير مؤمن حتى يُخدع مرتين؟  
لا يعقل أن تظل أبواق الحرب مفتوحة ولا يتحرك  
طائر هناك.

يتنافخون بهمّ القضية ، يذيقون الناس الآم شظف  
العيش بدعوى التهيئة للحرب.  
ما زال غصّا على فهم متاهات المصالح ولعبة  
الممكن والمستحيل، ما الذي يجعل منه ساذجا إلى  
حد البلاهة، وهو يطلق سمعه لمثل تلك الأكاذيب  
مراهنّا على ورقة خاسرة، طار بسببها نصف  
شاربه الآخر؟

يقف أمام مرآته مشروخة السطح، يحلق نصف  
شاربه وينضم إلى طابور أنصاف الرجال ...  
أمسك موسى الحلاقة ...

نظر إلى نفسه من جديد، غسلته موجة ارتياح....  
هو لا يستحق هذا الشارب، قانعا بنصف رجولة  
على تحمل تأنيب الضمير.

لملم شعيرات شاربه، فكر: أين يذهب بها!!  
هل يرسلها بالبريد المضمون للقائد العام ، أم لمدير  
الإذاعة....

---

---

## الامتحان

أيام كثيرة مرت لا يهناً بنوم.  
منذ أن غادر حيه وسافر طلباً لتحسين الحال وهو  
يفكر في من يسكنون بيوت الصفيح.  
تذكرهم في الشتاء وقطرات الماء لا تجد مانعاً،  
وهبوب الريح الشرقية لا يصدها حاجز.  
يملأه الأمل وتملاً جيوبه النقود، مفكراً بطريقة  
يسدي بها للمساكين خيراً.  
أهل هذا الحي يعيشون في ظروف بالغة القسوة  
ومساعدات أهل اليسار هي مصدر سعادتهم.

---

---

ماذا عليك أن تفعل لهؤلاء الذين يذكرونك  
بماضيك؟

المساعدات النقدية لن تكفي، لا بد من علاج  
يستأصل المشكلة، لو فكر الأغنياء.....  
ماذا لو أشركنا عوائل في مشروعات صغيرة؟  
لكل أسرة ماكينة خياطة؟

اتصل بكبير الحي، اعرض عليه الفكرة، ربما  
يكون لديه مقترح فهو يطل على أوضاع  
الجميع....

استقبل كبير الحي النبأ بفرح عظيم، ضحكت عيناه  
وارتسمت على ملامحه إشارات الرضا، قام من  
فوره يزف البشرى للرجال الذين جلسوا يرشفون  
الشاي في ظل جدار المدرسة.... حملت الرياح  
الفكرة وتناقلتها شفاه الجميع.

- ابن أصل، لم ينس أهل حيه.....

- منذ طفولته وسيماء الخير ترتسم على  
محياه.....

يسير بخطى وثيقة، يختلس النظرات لعيون من  
يسلمون عليه بفرح، عادت إليه ثقته أكثر من ذي  
قبل، ما أجمل أن تعطي، أي شعور لذيق  
يجتاحك؟ دعوات الأرامل وفرحة الأطفال أضافت  
لسعادته مذاق مختلف.....

صرخت زوجه بصوت صافر

---

---

-هل أنت مسؤول عن مصائر العباد في هذا الكون؟ أي جنون ركبك وأنت تحرق رصيد أولادك؟

من الذي قدّم لك شيئاً عندما كنت فقيراً ومحتاجاً؟  
لم يلتفت ولم يعلق.....  
وجد من الضرورة الإسراع بتشكيل قوائم الجمعيات والأسماء..  
غذ الخطى يختصر الوقت لرسم بسمّة على جباه كساها ذل السؤال.....  
تهامست الشفاه بكلمات مبهمّة، ما لبثت أن تحدت ملامحها.....

-هل تظنون أن عمل الخير وقع عليه فجأة؟  
-لماذا برعم الخير في فؤاده الآن؟  
-أي جهة دفعته لهذا العمل؟  
-من المستحيل أن يكون فعل الخير مجاناً  
-أمواله التي لا تأكلها النيران جمعها من تجارة الحرام  
-في سنوات معدودات يقفز من الحضيض إلى القمة؟

- : ألم تسمعوا بغسيل الأموال  
- : هذه الأفعال ما هي إلا ذر للرماد في العيون.....

لم يحاول أن يصيخ السمع ، ظل وجيب قلبه يطغى على حروف كلماتهم التي تحاول أن ترزعزع إيمانه .... عض على شفّته السفلى بقوة محاولاً

---

---

كبت صرخة تفلتت من جوانحه تغلب عليها بلا  
حول ولا قوة إلا بالله .

## توبة

قمر تلك الليلة لم يبرز بعد، خيوط نور تسالت  
خلف الأفق، وقف شعر رأسي، أول مرة استمع  
لقرآن يتلى.  
هبطت عليّ مسحة خشوع، سحّت دموع على  
وجنتي، أخرجت آهة ندم...  
أسرعتُ الخطى غائبا في الزقاق المعتم الطويل....  
حكّت قصتها مع من غيابه ربط خيوط قصتي بها.  
لا تعرف غير عودته المتأخرة، يوقظها، وجوده  
مكوما يغط في شخير مذبوح .  
حياتها بحيرة تسحبها نحو الأعماق، لم تصرخ، لم  
تطلب النجدة .  
تمحورت على ذاتها، أكلت بعضها، غريقة تنتظر  
قشة.  
استعرضت أنوثتها الذبيحة ، كنت طوق النجاة...  
ذهلت عن نفسي.. لم تصدق أُمي أن الهيكل  
العظمي هو ابنها.....

---

---

أصابني الدوار، تذكرت قريتي، بصقت على نفسي،  
وقطعت على نفسي الموائيق .  
وحيدا...تتلاشى صور التقزز أصرخ.  
-: يا كتلة الأعصاب الضعيفة، يا إنسان، ما  
أعقدك.....

أحرق بما تكتسي به الجدران، يعاودني التفكير في  
اجتياز الحدود حتى يقهرني النوم.....  
جذبني ضوء مفاجئ، وقفت خلف النافذة، لم  
يخالجني أي إحساس وانكفأت على السرير.....  
عقارب الساعة تشير إلى الواحدة، نزعت منامتي  
ونظرت في المرأة.....

كيف لامرأة أن تستسيغ النظر في وجه مجرور  
وشعر أجعد وأسنان صدئة؟؟  
أسلت عطرا رخيصا على رقبتني، اصطدمت قدمي  
بالعتبة المثلومة، تذكرت أسناني التي نبهتني  
لرائحتها، بحثت عن الفرشاة....

تلقفني الشارع الموحش، تذكرت ناس القرية  
وحكايات تتناسل مع سحبات السجائر، الشارع  
خال، غيوم الحرب تتلبد بها السماء...  
تلفت...أوهمت نفسي بالتماسك...تناسيت دقات  
قلبي الصارخة.....انحنيت متشاغلا بالحذاء....  
ثعابين تتلوى في دمي .

وقفت بالباب..عقارب الساعة تغمر الثالثة.....  
نزلت متخاذلا....تلقفتني العتمة...سبحت في  
سكون مهيب...نظرت للأفق...غيوم آذار تطارد

---

---

بعضها .. القمر لم يبرز بعد... هبطت على قلبي  
نسمة خشوع .. مسحت دمة مألحة... صوت  
عذب يتخثر في مسام الروح.  
انتفضت... لملت أشيائي... رميته في حقيبتني.  
فوجئ حارس المحطة بي، دلني على بائع التذاكر  
الذي صحا مهددا .  
ابتعت تذكرة العودة، طائراً إلى نفسي.  
عندما أرسل المحرك هديره المخنوق، كانت خيوط  
ذهبية تثبت في الأفق الشرقي ، يلفظها قرص  
الشمس الذي لم يبرز بعد....

---

---

## أرزاق

قفز راكضا تجاه السيارة التي توقفت، مد رأسه داخل شباكها الواسع، سأل السائق:

- هل تحتاج بليطاً؟ أنقن المهنة منذ عشرين عاماً، نصف عمارات المدينة بلطتها بيديّ، لا تعطني أجرة قبل إتمام العمل .

قبل أن يستوعب ما تحركت به شفتا السائق، امتلاً المقعد الخلفي بالعمال، زمجرت العجلات، ظل يمضغ الذهول.. جرجر قدميه وعاد يقتعد الرصيف.

ساعات باقيات وتقف على عتبات العيد وجهها لوجه، ماذا أعددت لذاك اليوم ؟ أترمجر إذا ما تحلق أطفالك أمام أكوام علب الحلوى حتى تشتري لهم!!

مقدم العيد ينكأ جراحك التي يعجز العام عن مداواتها، تتكالب سهامه على قلبك فيضيع منك التفكير.

هل اختصرت شيئاً تدسه بأيدي أخواتك اللواتي خلفن جيشاً من الأطفال؟ أحسبت حساب طبخة تشبع نظرات أطفالك التي تحملق في خروف الجيران؟ تحرث الحسرات قلوبهم؟  
قد يفرجها الله عليك وتجد أخواتك قد غادرن بيوتهن ، ينقذك من ذاك المأزق.

---

---

هذه المرة لن تتوانى عن شراء ثوب لزوجك التي  
إهتراً قديمها واصبح خريطة للرقع، ستفرك في  
عينها بصلة وتعلمها انك لست ناسياً فضلها في  
الزمن الخؤون، من يضمن أن الطمع لن يتسرب  
إليها وتطالب بحذاء ؟ رغم مرور عام كامل على  
آخر مركوب بلاستيكي ابتعته لها....

\*\*\*\*\*

تطلع إلى الأمام ، صحا على الصراخ، لملم أشياءه  
مسرعا، نهض واقفا، وضع قدمه على مؤخرة  
السيارة، صرخ صاحبها بوجهه "كفى".  
نفخ بغبط، رمق وجه المقاتل بنظرة حارقة، سار  
متمهلا، تربع فوق سور الرصيف.....  
أي ثور ساقية أنت، تبحث عما يغلق الأفواه من  
حولك، الليالي تدير ظهورها، تأبى الابتسام، حتى  
مهنة (حارس) أفهمك أمر المشروع أن شرطه  
الوحيد لتعيينك، إغماض العين عن أكياس الإسمنت  
ليلا.

عليك تحديد الأولويات، العيد على الأبواب،  
غضبت زوجك في العام الفائت لعدم زيارتك قبر  
أمها، معتبرة ذلك تقصيرا لا يليق بالحماة التي  
ظلت تستر فقرك دون علم الزوج.  
اذهب للمقبرة ، اسكت الزوجة التي ستظل تعزف  
لحن التقصير، وهذه مناسبة من ثم لتعرج على قبر  
والدك الذي ضاعت معالمه...ماذا تفعل وأنت مجبر

---

---

على مجارة من شربوا من نهر الجنون!! تعرف  
أن الأسماك الميتة هي التي تسير مع التيار ،  
والحديث عن الألم غير الاحتراق فيه.....  
ألقي نظرة محايدة على ساعته ، وجد عقاربها تدور  
في العاشرة...قرصه الجوع ... هاجت في خياله  
رائحة طابونهم .....مسح الساحة بعيون  
ضبابية..قلب ما في يده من نقود ..... نبتت في  
صدره حسرة... رمق أدواته معاتباً..همّ أن يطوح  
بها....هاجت الساحة بالرجال ..ارتفع  
الضجيج...ضغطوا على ذراعه ..دفعوه بحزم....  
:- اصعد.....

استقر داخل الصندوق الخلفي ..قرأ اليأس على  
الملاح ....قلب نظراته المتسائلة...الإقامات هي  
السبب....  
نهض واقفا..ترنح ..أمسكت به أيد خشنة..قفز  
صارخا بقهر ....لست وافداً!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!  
ذابت الصرخة ..... حملها هدير المحرك إلى  
البعيد، وعلامة استفهام تطل من عيون الرجال،  
ظلت تلتف حول عنقه حتى جحظت عيناه.

---

---

## الزيارة

أصبح وجه المدينة كئيماً كالحأ، كل شيء تغير،  
السماء تلبدتها الغيوم، الصدور مقفلة على هم كبير،  
الوجوه عابسة، الصمت الأخرس يلف الطرقات  
حتى صياح العربات المتجولة اختفى، فلم تعد  
قارعة الطريق تغص ببائعي الكعك والبيض  
والعرقسوس.

المارة يسبرون في صمت كئيب قاتل، لا ترتفع أطرافهم إلا ليحملقوا في سيارة مسرعة تمر من جانبهم، محملة بأرتال من جنود، يشع من عيونهم بريق الخوف، يقبضون على أسلحتهم بأيدي صلبة، كأنما يخافون أن تهرب. أفاقت، رمقت ساعة معصمها، لم يكن لموعد بدء منع التجول غير ساعة، " مهمت ": باستطاعتي أن أعودها، اطمئن على جرحها في مظاهرة أمس الأول ثم أعود. سارت في الشوارع العريضة، الصمت يطبق في خوف شديد، السيارات تمر بسرعة مجنونة، الجدران بحجارتها الكالحة تزيد النفس قتامة، وتضاعف من عذاب الوحدة.. " الخريشات " على الجدران تمسح ما يترتب في القلب من ملل وأحزان، فوهة بندقية مرتسمة بشكل بدائي بسيط، مفردات كبيرة تنتشر هنا وهناك تؤكد معنى الوحدة.. أصابع كثيرة ترتفع فوق رؤوس صغيرة تحمل شارات النصر. تسير في خطى أقرب إلى الوثب، ترمق المارة، تقطع الشارع القريب من البيت، تعبر شارعاً آخر، تدخل حارة، تدور في منعطف يوصل إلى زقاق. مبهورة الأنفاس، وفتت بالباب، انتظرت تستعيد أنفاسها الهاربة، رفعت يدها، ضغطت الجرس المرتفع بعد أن تحاملت على أطراف أصابعها، غزتها موجة فرح.. مرت لحظة، فتح الباب بيد معروقة لعجوز ذات فم أورد. خطت نحو غرفة صديقتها، ألفتها ممددة على

---

---

الفراش، معصوبة الرأس، لاحظت تحسن وضعها، بعد أن لاحظت رحيل موجة الاصفرار التي لونت وجهها بالأمس. هربت اللحظات بها بعيداً إلى أجواء الإضراب والحجارة والإطارات المحروقة. تنهدت بعد أن نظرت إلى وجه صديقتها الجريحة، كأنما تحسدها على هذه النوم، التي تؤكد فيها صديقتها حب الوطن... حانت منها التفاتة مفاجئة لساعتها التي نسيبتها تحتضن رسغها البض الأبيض، أخرجت أهة ندم، مذكرة صديقتها بضرورة العودة، لم يبق لسوء الحظ على موعد منع التجول سوى دقائق عشر. نهضت كرمح، ودّعت صديقتها التي لم تستطع النهوض، رغم محاولتها اليائسة، حاولت أن تداري دمة فرت من عينها، أثارت انتباه صديقتها، التي تساءلت بفرح فيما إذا كانت تلك دمة حزن أم دمة فرح! عندما طبع على خد صديقتها قبلة دافئة، قفزت مغادرة كالغزال، ما إن وطئت قدمها درجة السلم حتى ألمت بها نسمة خوف، وازداد الخوف عندما اكتشفت نفسها وحيدة في الشارع العريض لأول مرة. سارت بخطى واسعة مرتبكة، تتلفت بين الفينة والأخرى إلى الوراء.. كأنها تستوثق من عدم وجود خطر، وهي تنظر إلى عقارب ساعتها التي تدور بسرعة كبيرة، فيتلون وجهها نتيجة ذلك بانفعالات شتى، سمعت دقات قلبها المتسارعة، أحست ببداية دوار يغزو رأسها، تخيلت الطريق

---

---

يمتد أمامها ويطول.. صكت أذنيها قهقهة عالية،  
رمقت الرصيف المقابل من الشارع بوجل، جف  
ريقها، رعدة مفاجئة سرت في شرايينها، تساءلت  
في نفسها" من تراه يكون؟

تجمدت الدماء في عروقها، رأته يذرع الشارع في  
سكون.. لم تدر ما تقول.. هل تهرب؟ لكن  
الرصاصة حتما ستسبقها، لا.. ستتوقف، ستشرح  
الموقف. - قف.. لا تتحرك.. كم الساعة الآن-  
الآن!! هربت كل المفردات من فمها، ارتبكت، لم  
تدر ما تقول: التفت الجندي إلى رفيقه الذي يقف  
بعيداً، ترابطاً بصوت عال، ابتعد الواقف، تقدم  
الأخر، بتودد قال: اقتربي، لا تخافي... هيا:- -  
ولكن ساعتي عاطلة منذ الصباح، لم... اقترب منها  
أكثر، أمسكها من يدها، حاول تقبيلها، حذق في  
عينها، انزلقت يمناها عبرة فتحة صدرها، ابتسمت  
له بمكر، لمع في يدها شيء تحت ضوء مصباح  
الشارع الخافت. مرت اللحظات سريعة متلاحقة  
تكورّ المجند، بعد أن أخرج آهة مخنوقة، رمقته  
بنظرة احتقار، ثم مضت بعد أن بصقت في وجهه  
بغیظ و ركلته بمقدمة حذاءها.

---

---

## من دفاتر الأيام

لماذا لا أقف مع نفسي لحظة صدق واحدة؟ أستطيع أن أخدع كل الناس فهل أخدع نفسي؟ هذه هي الحقيقة لابد من مواجهتها، رغم مرارتها.. ماذا أجنبي من كل اللواتي يتحلقن حولي؟ ويستمتعن بتلذذ وربما بتشف لتفاصيل قصتي، فلا توجد بينهن من تحسني على ما أنا فيه، لماذا لا أعترف ولو متأخرة؟

ربما أتمكن من إصلاح ما تم تحطيمه، أعرف أنه عنيد، لكنه في نفس الوقت ودود وطيب وحنون، وأنا المسؤولة عن كل ما آلت إليه الأمور، عندما كان يدخل عليّ في الشركة؛ كنت أتعمد الانهماك في العمل، ولا أعطي زوجي اهتماما؛ بحجة الانشغال في متابعة الحسابات، والحقيقة غير ذلك على الإطلاق، كنت في الواقع أسعى لإملائه، حتى يبادر من طرفه ويطلقني لأتخلص من سجنه الذي بنيتّه حولي بأحلامي المريضة، وإن كان عقلي الباطن يخفي الأسباب الحقيقية لكل تلك التصرفات — أنا أعرف وزوجي بلا شك يعرف — أن الفرق

---

---

الثقافي هو السبب، ولذلك كان يلوذ بصمت أخرس  
ويضغط على أعصابه، ويداري كرامته الجريحة؛  
لأنه يحبني، لكنني ظللت أسعى دوما للحصول على  
حريتي!

عقدة التفوق على زوجي أكاديميا، كانت تطاردني  
دوما وتشل تفكيري، مشكلته أنه لا يريد أن يغير  
من وضعه، قلت له مرارا: ادخل المدرسة  
المسائية، فكان يرفض ولا يتكلم، ماذا أفعل  
وزميلاتي دوما يتحدثن عن أزواجهن ومؤهلاتهم  
وثقافتهن، مازلت أتواري خجلا عندما يفتح باب  
النقاش في هذا الجانب، أعذر لأسباب واهية  
وأغادر الجلسة، أعرف أن تكشيرتي لا تتغير عندما  
يدخل زوجي عائدا من عمله، حتى ملابس المطبخ  
لا أبدلها، وعندما يحاول أن يحدثني عن أمر ما  
أنشغل عنه فلا يفعل شيئا غير أنه يتجرّع خيبته  
ويلوذ بصمت، وما يلبث أن يغط في نوم طويل.  
إلى متى يظل هذا الحال؟ العمر يمضي والأيام  
تتفلق من بين أيدينا كحبات الرمال والحل كله في  
يدي.

كل الذين يستمعون لقصتنا لا يفعلون شيئا غير  
مصمصة شفاههم، صدق المثل: ما حك جلدك مثل  
ظفرك، أليست المفاتيح بيدي؟! أليس زوجي من  
لحم ودم؟! قدرته على الصمت ستنفد بالتأكيد،  
وستأتي اللحظة التي يتناسى حبه، ويحصل ما لا

---

---

تحمد عقباه، أصدقاؤه كثر، وأي واحد يستطيع أن يدلّه على الكثيرات، لكنه لا يسمع لهم. أعرف أنه يستطيع بماله أن يجد أجمل الزوجات، ويتزوج ممن يحملن أعلى الشهادات، وأنا ما زلت أكابر بمهزلة الفارق الثقافي.

أما أن أن أفيق من أحلامي وأصحو على الواقع؟ متى كان الفارق الثقافي سببا في تدمير أسرة؟ لا بدّ أن أفتح صفحة جديدة مع نفسي ومع زوجي. يجب أن أتنازل عن العناد غير المبرر والكبرياء الكاذب.

ما فائدة دراستي وثقافتي إذا لم تستطع إيجاد حلّ لمشكلتي مع زوجي؟ وبماذا أختلف إذا عن الأميات؟ مرارا أقرأ الحديث الشريف، وأمر عليه مرور العابرين: "من باتت وزوجها..."

ويلك يا سهام تسيرين برجليك إلى جهنم خلف سراب وخيالات مريضة، أما يكفيك صبر زوجك ورجاحة عقله، وحنانه وقلبه الكبير الذي وسع كل تفاهاتك؟ ألم تسمعي بفاطمة التي يقاسمها زوجها مصروف البيت؟ لأن لها راتباً؟ أين زوجك من هؤلاء؟! أنسيت هداياه التي لا تمر مناسبة مهما صغرت إلا وغمرتك بها؟ وأنه خلال فترة زواجكما لم يشر ولو بايماءة إلى رصيدك وتجاركتك؟ أنت في نعمة لا تقدرينها ولا تملكها الكثيرات.

هذا المستحيل والذي تركضين خلفه جنون ولن يتحقق، نحن لسنا إلا بشرا ضعفاء ناقصين، أما

الملائكة فلا وجود لهم في حياتنا، لابد أن تعيش  
بحلوها ومرها حتى يصبح لها معنى، هذه سنة الله،  
وإلا فما معنى سعادة دائمة وحياة بلا منغصات؟  
لابد من خطوة جديدة تتقدمين بها من "أحمد" فأنت  
التي بدأت المعركة ومن تسبب بكل هذا الجفاء.  
العلاقة بين الزوجين ليس فيها كبرياء، وليست  
تجارة تخضع لمبدأ الربح والخسارة، ولن تكون  
كذلك حلبة مصارعة فيها غالب أو مغلوب.  
الحياة عطاء ومنح، وحب وتقان من أجل الآخر،  
الحياة زوج وابن، ورسالة وجود، والله لا يضيع  
أجر المحسنين. كلاكما في مركب واحد، وعليك أن  
تبدئي الخطوة الأولى. إذا رفض؟ تقولين إذا  
رفض؟ أنت أول من يعرف أنه لن يفعل، وعندها  
لكل مقام مقال. جربي هذه المرة فقط، البسي  
الفستان الذي اشتراه أخيراً، ويجب أن يراك فيه،  
أخرجي علبة الزينة، ولا تنسي حمام الماء الدافئ  
الذي له فعل السحر على وجنتيك.  
وقفت بكامل زينتها، يسبقها عطرها الذي يحبه، دق  
قلبها، إحساسات شتى تدور بخلدتها، هذا النبض له  
طعم مختلف، منذ زمان بعيد لم يخالجها هذا  
الإحساس. تكتشف نفسها خفيفة، تريد أن تطير.  
انقبض قلبها.. ماذا لو..؟ تسارع وجيب قلبها،  
تقدمت من الباب بخطى وثيدة، شلتها الحيرة.  
أوشكت أن تتراجع. لا تعرف ماذا تكون الخطوة

الأخرى. هل تظل واقفة؟ هل تفتح الباب؟ صحت على صوت صرير الباب، دخل أحمد...  
مرت لحظة صمت، عقدت الدهشة الألسنة. الثواني مقامع من حديد تضرب رأسها. زاغت نظرات أحمد غير مصدق، دقات قلبها طبول في غابة نائية، نطقت أخيراً، سحبت لسانها جافاً من بئر عميقة.  
— أهلاً وسهلاً، وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.  
— أمعقول؟ من أين يأتي هذا الصوت وهذا الدفء وكل هذا الحنان؟! "حدث نفسه"  
— لماذا تنقف بالباب يا أحمد، تفضل يا عزيزي.  
— أ.. أ..  
— مفاجأة؟ أعرف ولكنها سارة، أليس كذلك؟  
— ماذا حدث؟ أين أنا؟ .. لماذا؟ كيف؟ هل أنا في حلم؟  
— أنت في بيتك ومع زوجك التي اكتشفت غيابها وقسوتها على صاحب أطيب قلب.  
— أرجوك لا نريد أن نضيع المزيد من أعمارنا. ما مر علينا كان مجرد حلم مزعج، صحونا منه، ودرس تعلمنا منه الكثير.  
— والماضي يا "سهام" ماذا نفعل به؟  
— نحن أولاد اللحظة التي نقف فيها، ولدنا من جديد والماضي لن يعود.  
— الحمد لله. الحمد لله (وتهدج صوته).

---

---

— تمنيت هذه اللحظة من زمان، وكنت مطمئناً أنها  
لا بد أن تأتي.

— كنت تنتظر أن أكون البائدة، أليس كذلك؟  
— الواقع..

اقتربت منه، حدقت في عينيه، مدت يدها، وبأناملها  
مست حبات من لؤلؤ تدرجت على وجنتيه، ثم  
وضعت باطن كفها على فمه تمنعه من الكلام قائلة:  
— لا واقع، ولا ما يحزنون، قلنا: نحن أولاد  
اللحظة.

هيا نصلي معا شكرا لله.

## سطور

بالعودة لتلك اللحظة التي تنفست فيها أوكسجين  
الدنيا معتمداً على ذكريات جدتي ووالدتي وأبي  
وكل المحيطين الذين هلّلوا معبرين عن فرحتهم،  
خاصة العمات اللواتي يفرحهن أن يكون لأخيهن

---

---

المريض ولد، وقد كن لا يعتقـدن أنّ وضع الأخ  
الصحي يسمح له بالإنجاب، فقد ظل والدي يتتهد  
وهو يرمقني بحديثه مداعباً شعري الأشقر: مساكين  
أنتم، لقد ولدتـم في المكان والزمان الخطأ.

ولم تفهم أـمي من كلامه غير رفض الوالد لمقدمي،  
لأن الحال صعب على الوالد الذي أعياه المرض  
فلا يجد ما يسدّ به رمق العائلة الصغيرة التي بدأت  
في النمو، غير أنّه ينظر إليها نظرة اتهام ويتمتم  
بما لا يُفهم وكأنه يقول: ناقصات عقل، ما ذهبت  
لذلك، ولكن ألا ترين كيف أننا نفتح الراديو على  
صوت العرب خلصة؟ وأن الشعب الذي وعده الأهل  
بتحرير وطنه وإعادة مشرديه لأوطانهم ما زال  
يفترش شتات الخيام في بلاد الله

على تراب المخيم و سفح الوادي الذي لا زال يقبع  
في ذاكرة الطفل بحنين، درجتُ ورفاقي، نستتشق  
عبق الوطن عبر الرياح الغربية التي تحمل لنا  
رائحة الأهل.

أطلق الطفل صرخة احتجاجه التي استقبلها الأهل  
بفرح يؤكد أنّ ابنهم من الآن أصبح في مصاف  
الرجال الذين لا يعترف بهم إلا بالإنجاب.

على صراخ اللاجئين وهم ينتظرون إعانات العالم  
في صفوف طويلة ، سجلت ذاكرة الطفل تفاصيل  
معاناة التشرد وآثار الهزيمة ومعنى اغتصاب  
الوطن.

ظلت أُمي تعيّرني وأنا بكرها الذي عزز مكانتها بين نساء الأسرة بمولودها الذكر الجميل، وتاهت عليهن بأنها الولود، محاولة أن تتقاعس عن عملها بحجة العناية بالطفل، مما سبب لأبي إحراجات مع جدتي وعماتي، خاصة وقد صادف من أُمي عناد ومكابرة وضعاه في موقف لا يحسد عليه مع جدي. ظلت أُمي تعيرني بالتقصير معها لأنني بقيت سبعة أيام متردداً في مغادرة رحمها والنزول للعالم، وما عانتها من الآم ومخاطر لم تستطع الداية أم محمود بكل خبراتها البدائية أن تجد حلاً بغير الصبر والتدليك والماء الساخن، في غياب ممرضة أو طبيب أو مستشفى.

أضرب رحم أُمي بعد ولادتي العسرة ورفض أن يستقبل مواليد غيري لسنوات سبع، رافضاً أي مشروع حمل.

ألا ترى؟ قدومك قطع خلفي، وها هم إخوتك يموتون من بعدك!! أي وجه نحس أنت؟ لكنها تسترجع خيبتها وتهمس لجارتنا التي تكن لها مودة خاصة دون أن أعرف أسبابها: لا بد من شيخ طريقة يسوي هذا الإشكال.....

أطلال قصر هشام بن عبد الملك محل لهونا في غياب هيئة للأثار تحمي التاريخ من عبث الطفولة، نلتف حول بعض السياح محاولين التقرب إليهم وتعلم بعض المفردات التي نسمعها.

---

---

رفضا للواقع الذي يتكدس ببطء في أزقة المخيم الذي بدأ يصبح وطنا، قرر الأهل الاعتماد على مصدر عيشهم الأساس: الزراعة والاعتناء بالمواشي ، فارتحلوا إلى قرية تخلصنا من كابوس المخيم وامتهان كرامة الإنسان....

تاه الولد بين الحقول ومتابعة صغار الأغنام نهاراً، أما ليلاً فيلوذ بأذيال الكبار في ليالي الشتاء، إذ يجتمعون حول الموقد يرتشفون الشاي ويدخنون الهيشي ويستمتطرون الأمنيات بالعودة للوطن الذي يتنأى عنهم كل يوم.

لعله الممرض، و وعيه المبكر ما جعل والدي جاداً على الدوام ، في نظرته غصة أسي وفي نبرة صوته بحة احتجاج، كثيراً ما كان يكتفي عند سؤالي له عن الوطن وعبد الناصر والفدائيين وو..، يكتفي بضحكة هازئة وحركة بطيئة من رأسه بلا تعليق، فالوذ بصمت أتعرق فيه المعنى الذي عناه أبي دون جدوى، لكنه فيما بعد، رفع نبرة ضحكته ليسمعها من حوله ولا أدري لماذا صرت أقارن ضحكته بضحكة الرجل الذي رسمه ناجي العلي، عندما كان يُسأل عن تحرير فلسطين حتى كاد أن ينقلب على قفاه.

ظل والدي قريباً ، يخاطبني كرجل ويأخذ رأيي في أمور كبيرة ، كأنما يريد أن يتخلى عن مساعدة الآخرين الذي أرهقهم مرضه المتكرر، فأكبرت فيه انتباهه على رجولتي التي تفتحت مبكراً واستعدادي

---

---

للقوف بجانبه، رغم أن ذلك لم يعفني من غضبه  
الحاد عند أية مخالفة.

لفت نظري صداقات والدي مع من هم أكبر منه  
سناً ومركزاً اجتماعياً، وما شدني أكثر، محاولاته  
الدؤوبة لتعلم القراءة والكتابة والحساب، معتمداً  
على جهده الخاص، فكان يحسب حساباته ويسجل  
اسمه في دفتر المصلحة.

أكثر ما يستوقفني في صداقات والدي ذلك الضابط  
الذي أبرم مع والدي اتفاق تزويد ثكنته بنوع خاص  
من الخبز مقابل مردود مادي فرح له أبي، وذلك  
الارتباط بالرجل المغربي رث الثياب، مهلهل  
الهيئة، والذي كان يتهامس مع أبي ويخفض صوته  
عندما أقترب منهما....

يمتد حديث الطفولة مع تشاؤب لحظات العمر،  
والوقوف مع مفاصل هذا العالم يرهقني، غير أنني  
سأترك لكل من طاف يوماً في ركن من أركانها من  
أهلي وذويّ ومعارفي أن يتحدث عنها.

تفتحت مسامات وجداني على حكايا جدتي لأبي، ،  
كتلة الحنان الدافئ الذي لذت بها في غياب قرب  
الأب الذي شغله المرض وتواري الأم الذي أضاعه  
عنادها.

جدتي لأبي كانت حصناً آمناً بالنسبة لي، أجد فيه  
عزاء الصغير الذي صحا على حضن كبير يحتويه  
وينسج له حكايات مسلية، والأكثر منها مخيف.

---

---

ما الذي كانت ترمي إليه الجدة بالإسهاب في حكايا الغولة وأبو رجل مسلوخة وكل تلك السلسلة من قصص الخوف؟

هل كانت ترمي لتسليتي أم تهرب تهديداً مبطناً لي و أقراني من أولاد الحارة بحكاياتها لكي نلتزم بأوامرها وطلبات كبرائنا؟

هل كانت تدري أنها في الوقت الذي ترعّم تسليتنا، تأخذنا إلى غياهب أودية الخوف من تلك العوالم؟ بصيص من حكايات جدتي تزرع فينا حلماً بالحب والصدقة ونسج أحلام وردية لعالم يركن وراء المعقول ولا تطاله الأيدي.

عمتي الصغرى التي كانت رقبتها مكانا لجلوسي، تستقبل تلك الرغبة الملحاحة مني بسعادة لا توصف، أعاندها، أطلبها بالمعجز، فتظل مبتسمة على الدوام تلبي رغبتي حتى لو أيقظتها منتصف الليل طالبا أكلة غريبة تحتاج لإعداد طويل، هل كانت هي الأخرى تؤدي بخدمتها لي واجبا لا شعورياً تجاه والدي طريح الفراش وكأنها تعوضه بذلك من خلالي؟

عمتي التي أمسكت بيدي لأول مرة ومررت بقلمتي على صفحة دفترتي الأبيض، كانت تلازمي لمدرستي حماية لي من لهيب الشمس ودرءاً لغبار الأيام، ظلت تكرر: ابن أخي مكانه بؤبؤ العين، ابن الغالي الذي عوضنا الله به عن أبيه.

---

---

عالم الكتابة بالنسبة لنا لم يتعد كتاب المدرسة ونتف من حكايا يرددها الكبار أمامنا عرضاً على سبيل التسلية، خاصة أولئك الكبار الذين اكتووا بنار الحرب العالمية وكانوا جنوداً لتركيا.

لم نعرف عن الجانب السياسي إلا ما يتخثر على شغاف قلوبنا وأطراف ذاكرتنا من أحاديث مجروحة حول العودة وأيام العز في وأمنيّات كسيحة غير مبالية يرددها الكبار عن حروب العرب وجيش الإنقاذ وما يدور من همس حول (المسكوب)، اللفظة الذي ظل يرددها جدي وترتسم في خيالي عنها عوالم غريبة لا ضفاف لها، لم أدرك معناها إلا بعد أن جاء العسكر واعتقلوا رجالاً من بلدتنا ، وزمجات الشباب الذين يكيلون التهم ،لمن يعاونون السلطة بالقبض على الشرفاء والوطنيين والأحرار .

ظل أبي رغم ابتعاده عنا لمرضه، قريباً مني على استحياء، كنت الحظ على قسماته ملامح معانٍ للاعتذار مبررة بضيق ذات اليد، وإن ظل قريباً مني كصديق ولا يخاطبني إلا كرجل، محاولاً زرع معنى عميق فيّ أظنه الكبرياء وعزة النفس مهما تردى الحال.

لقائي مع الحرف خارج إطار المقرر المدرسي كان من خلال بائع الحلوى الذي كان يلف قطعه بقصاصات من مجلات ملونة وبيضاء وسوداء.

---

---

تلك الصفحات تزرع في داخلي لهفة لاكتشاف  
مجهول، خاصة وأن بعضها كان يتشح بكلام كثير  
يحيط بفتاة تلبس ثياباً جميلة أنيقة.

ظل الحلم يراودني باستكناه ذلك الغيب، حتى نادى  
معلم العربية فجأة عبر المكبر اليدوي الذي يعمل  
بالبطارية أن سيارة المكتبة المتنقلة قد وصلت ومن  
أراد استلام كتاب فليراجع المدرس الذي حاول من  
خلال سلطته أن يسرّب إلينا كتباً ينتقيها على  
ضمانته.

رفضت الكثير منها وظلت أجنحة جبران المتكسرة  
هي القريبة مني وإليّ، والتي استفدت منها في  
اختيار مقاطع هربتها لأبنة الجيران صاحبة الأنف  
الأحمر الذي لا يفارقه الزكام، وتطاطيء رأسها  
خجلاً عند مروري وصحبتي أمام بيتهم عبر الزقاق  
الترابي الضيق.

عمتي الصغرى أول من فرح بكتابتي وحركة  
أصابعي الصغيرة، أكتب الحرف والرقم ولا أتقن  
تنبيت ملامحهما على سطر الورقة، ظلت تلاحقني  
وتشجعني وتأخذ بيدي إلى جدتي ووالدي معلنة  
فرحها بميلاد رجل متعلم .

معلم العربية في الإعدادية، فاجأني بأنني شخص  
مختلف، رغم جديته وعدم تساهله مع الصغار الذين  
يقصرون بدروسهم وتأنيبه لهم بأننا خسرنا كل غال  
ولم يبق لنا إلا هذا الرأس وهذه اليد.

---

---

دخل في درس الإنشاء منادياً على ثلاثة قد وضع  
دفاترهم منفصلة عن دفاتر الآخرين: تعال يا  
....من كتب لك هذا ؟ لا تكذب، ودار تحقيق  
أضاع ربع الحصّة حتى أيقن أننا من كتب بحق .  
فرحت بزهو قاتل وتتهت على أقراني بهذا التمييز  
ومن يومها تمسكت بالحرف.

الحب كان يدفعني تجاه ركن أجد فيه طمأنينتي،  
ألوذ به من حالة فقد أحسها من داخلي لشيء لا  
أحدد كنهه، ربما محاولة للاختباء من قادم خطير ،  
تلهيت بالحب عن خوفي من المجهول: موت الأب  
الملاذ رغم مرضه، سطوة الفقر وعدم وجود من  
يمد يد العون أو المشاركة بتحمل جزءٍ من  
مسؤولية نفسية يخفف بها عنا.

هربت من هذه الأجواء مرة بحب الجارة الصغيرة  
وأخرى بحب امرأة مثل أمي كنت ارتاح  
بالاقتراب منها وأجد فيها حماية من نوع ما ،وقد  
كنت أجدها تسريّ عنا بملاطفتنا ومحاولة التخفيف  
عن معاناتنا، وربما تكون أول من دفع بي للكتابة  
عنها، كنت أتمزق بين حبي لها والنظر لها كحام  
وموئل وملاذ، أربط بين صورة تلك المرأة وبين  
أي من النساء اللواتي يشتركن معها في صفاتهن  
الجسدية ، تتلبسني حالة استحضار قاتلة للمقارنة  
بين حالتين تكون الثانية هي الخاسرة فيهما دوماً.

ربما لهذه الأسباب ظل الحلم يطاردني في اللحظة  
ويدفع بي للبحث عن عالم مثاليّ خالٍ من الأنانية

---

---

والخبث، بعيد عن النفاق والزيغ، أطيّر فيه مجنحاً  
نحو آفاق تتسامى فيها الروح ويخف الجسد.  
تصدمني الصداقات التي لا تلتفت لمثل تلك الرؤى  
فأكرر المحاولة بحثاً عما هو مستحيل.  
هدني موت الوالد وأنا في سن أحتاج فيها لمن  
يحمل هم الأسرة ووجدتني بلا مقدمات رجلاً في  
غير الأوان أتحمل مسؤولية أسرة غاب عنها  
معيلها الذي كان حاضراً بمرضه، مؤلم أن تجد  
نفسك رجلاً بلا مقومات .  
لأسباب كثيرة أحببت القراءة، فهي تنسيك واقعك  
وتبني لك عوالم خيالية تعوّض بها عما أنت فيه  
وتخلصك من شحنات التوتر السالب الذي ينتابك  
وتظل بك على عوالم الآخرين الذين ربما  
يتقاطعون معك في دوائر كثيرة أقلها الإجماع على  
أنّ الكتابة ليست إلا تعبير عن أمنيات أحبطها  
الواقع فنكتبها تعويضاً لا شعورياً عما فاتنا .

---

---

## سمير أحمد الشريف

- عضو رابطة الكتاب الأردنيين.

- عضو اتحاد الكتاب العرب.  
صدر له:

- \* الزئير بصوت مجروح : قصص، دعم وزارة الثقافة ، الأردن، دار الينابيع : ١٩٩٤.
- \* عطش الماء : قصص ، دعم أمانة عمان الكبرى/ الدائرة الثقافية، دار أزمنة، ٢٠٠٦.
- \* حصل على جائزة رابطة الكتاب الأردنيين للشباب لدورتين.
- \* جائزة نادي أبها الأدبي للقصة القصيرة .
- \* جائزة مجلة المنهل للقصة القصيرة.
- \* عمل في البرامج الثقافية لإذاعة لندن.
- \* يصدر له قريبا كتاب عن القصة القصيرة السعودية.
- \* يضع اللمسات الأخيرة على كتاب عن السرد في الساحة الثقافية الأردنية.
- \* لدية مخطوطات تنتظر النشر.

البريد الإلكتروني: wantu10@hotmail.com

---

---